الجزء الثالث المجلد الرابع

المقتبس

ربيع الاول سنة ١٣٢٧

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله اكبر فالظلام قد علموا لأيّ منقلب يفضي الألى ظلموا
قد هوى اليوم صرح الظلم وانقضت اركانه وتولت اهله النقم
وحصحص الحق في عز وفي ظفر يحفه خادماه السيف والقلم
ثارت له عصبة كانت مشردة وقد تهددها الارهاق والعدم
من كل اروع في حيزومه حنق في نفسه عزة في انفه شمم
عبد الحميد استمع منهم مناقشة فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها تقضي مقلتها ان عدّت الامم
اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد كانت بجيشك بعد الله تعتصم
الله الله يا راعي القطيع فقد لاقت مصارعها في رعيك الغنم
حملتنا ما تنوء الراسيات به كيف الصنيع وانت الخصم والحكم
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا وكم دعونا وحظ الدعوة الصمم

وليّ نعمتنا قل لي اما بطلت   تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا   ما كان أنفث مصدور وسال دمُ
محافظ الحرمين اعدل فهل امنت   في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حج حجاج بيت الله في دعة   بدون ان يهتفوا فيه ويهتضموا
وليته فاسقاً لا يرع حرمة من   في ذمة الله ضاعت عنده الذممُ
كم استجاروا عليه فازدريت بهم   ان لم تكن نافذاً فالله منتقمُ
ورب الهلال الرحيب هل كنت تمنحه   ما عاد من نصرات ذلك العلمِ
ماذا فعلت باحرار البلاد وما   جنوا على الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قذفتهم شطرين فازدحمت   على جسومهم النيران والرخم
مزقت شملهم في كل ناحية   فارغموك بحول الله والتأموا
ويا سلالة عثمان اما انصلت   منه اليك الصفات الغر والهمم
ابن الغطاريف ارباب العزائم من   اسلافك الصيد من بالعدل قد عظموا
شادوا لك العزة القعساء من قدم   فجئت تهدم ما شادوا وما رسموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة   وفي زمانك لا سيف ولا قلم
حصدت ما زرعوا وافرقت ما جمعوا   هدمت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
ملكتنا فرأينا منك طاغية   لم يدر ندّاً له المشهود والقدم
نيرون عندك او فرعون قد غفرت   زلاته واستحبت شاهها العجم
حجاج عصرك بل تولي العقاب بلا   ذنب ومرآك عنه الجم والبهم
قد اخترعت ضروباً للاظالم والتنكيل ما فطنوا فيها ولا حلموا
خليفة الله قد خالفت ما امرت   به الشريعة والتنزيل والكلم

---

(١) راتب باشا

ومهزة الخلفاء الراشدين بها … خير الرسائل للاسلام لو فهموا
وكنت مركب جهول ليس يعقله … من جهله في القوم الصمم
ثم انتهت بك يا هذا الزمان الى … عدو نفسك لو قد مسك الألم
حشرات وعقارب ان سكنوا … بالسحر منهم لا تقيدوا ولا رحموا
الغاصبون تولوا منك واجترموا … والخائنون على ابوابك ازدحموا
[illegible] … منه الجواسيس ما شاءوا وما ظلموا
عصابة ثقفت في الشر وطابعها … تعدوا عن الحق في اركانهم وعموا
لكنهم وخيار المرء شاهده … بالبيتهم يبقوا بالحق او رحموا
حاولنا رأوا منك الخيانة في … بنيك والمرء موسوم كما يسم
حيث اتى الحق منهم هتكوا … كأنهم تكل قربى ولا رحم
حاولت اطفاء نور الحق وهو الذي … تجور القواعد ان اسند منهدم
طال الزمان على جور تماثله … وعلى ضمير الورى واخمده السأم
تفرقت الريح في الارض فالتمت … والمرء مشتغل ان عطفه الألم
قد جمع الله منهم كل مفترق … وشد ما اشتغلوا في الامر واحتكموا
وكان الله عليهم رهطك ابتدؤوا … يدينون وان لاحلامهم جثموا
ولطالما كثلت الوثب عادتهم … توكلوا واستخاروا بالذي عزموا
سلوا عليك سيوف العدل مرهفة … كأنها شهب في الافق او رجم
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقاً … بشت له الارض وانجابت به الظلم
وطالبوك بحق كنت هاضمه … وحاكموك الى الثار واختصموا
فادوا بارواحهم حباً بامتهم … فلتحي تلك السجايا الغر والشيم
قد كان ما كان والرحمن ناصرنا … فالعدل منتصر والجور منهزم

دبرت فتنة سوء تستعيد بها   من مجدك الباطل الفرار ماهدموا
مجد كبير طوته غفلة كشفت   ثم انجلت فاذا ما تحتها ورم
كروا بعزمة حر جاء منتصراً   لنفسه واستباحوا منك مااحترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما   كانوا يريدونها لكنهم رغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها   وانت بالغدر والاغواء متهم
فاليوم تعلم عقبى من يخون ومن   يطغى وتندم اذ لا ينفع الندم
هبطت من قمة الامجاد منحدراً   كصخرة حطها من شاهق عرم
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً   وفي علاك كان كل الخلق قد ظلموا
كانت لجلالك الاقدار عابسة   فاصبحت بعد ما ادبرت تبتسم

دمشق ف

* * *

السلطان عبد الحميد المخلوع

قلما جاء في الملوك من ترضيك اخلاقه واعماله لضعف التربية الدينية والمدنية ولان الملك مسكر فيقتضي له عقل كبير يحسن به صاحبه التصرف ويراعي فيه حقوق الخالق والخلائق . والناظر في ملوك بني عثمان والملك متسلسل فيهم منذ زهاء ستة قرون من تأهل بالفعل للجلوس على عرش السلطنة فقد رأيناهم وفيهم الاخرق والاحمق والمرتبك والمسرف على نفسه والسفاك ولكن لم يأت فيهم على التحقيق مثل السلطان الخامس والثلاثين عبد الحميد الثاني

نقول فيهم وما احتجنا ان نقول في غيرهم من ملوك الاسلام بل وفي الامم